اختلاف البلاد والناس

قال البحتري

ولا تقل امم شتى ولا فرق فالارض من تربة والناس من رجلِ

الا ان هذا القول على الارجح مما لا يصح اطلاقه الا على جملة الارض والناس دون التفصيل ولكن الاصح هو قوله

والارض لولا العذاة واحدة والناس لولا الفعال اشباه

اما هذا الاختلاف بين الناس في اخلاقهم وطبائعهم وبالتالي عاداتهم وتصرفاتهم فمعروفة اسبابه وهي ترد من عند التربية والتثقيف وتفاوت مبلغهما بينهم كما ان اختلاف فئة عن فئة وشعب عن شعب معروف الاسباب ايضاً وهو يجيء من تفاوت درجات الحرارة التي يختلف بها الزنجي عن القوقاسي والمغولي واما اختلاف التربة فمعروف ايضاً وهو يرد الى اسباب كثيرة ولكن منها ما يختلف اختلافاً يعد غريباً في الظاهر وقد لا يكون كذلك لدى الاستقراء والتعمق في البحث فانك تنظر الى بلاد اليمن مثلاً فتجدها قد امتازت دون غيرها بزرع البن وانباتها لاجود انواعه فضلاً عن ان ذلك مخصوص بتربة منها دون تربة مع ان البقاع التي تشابهها في الارض من حيث ما يطلب لها من الحرارة والرطوبة والارتفاع وسائر الشروط موجودة في اكثر ما يقع على خط اليمن من الارض ولكنها مع ذلك لا تنبت بناً كالبن اليمني ولهذا بقي ذاك البن في المرتبة الاولى على كثرة ما

زرع الناس منه في كل مكان ولا سيما البرازيل التي يعد البن سبب حياتها كما هو حال القطن عندنا

ثم ان هذا الاختلاف لو كان بين اقليم واقليم ومنطقة ومنطقة لقل العجب منه ولكنه موجود بوضوح في المنطقة الواحدة والاقليم الواحد بل في البقعة الواحدة كما هو الشأن في كوبا فانها كلها مشهورة بانبات اجود انواع التبغ وذلك لما اختصت به من فرط الحرارة والرطوبة ولكنه يوجد بين اثناء تلك البقاع ما يختلف اختلافاً عظيماً عن سائرها حتى ان منها ما يخرج السيكار بقيمة نصف فرنك ومنها ما يخرجها بقيمة خمسة فرنكات مع انه لا يفرق بينهما الا مسافة قصيرة وان الذي يقال عن اليمن وكوبا يقال ايضاً عن يافا من جهة بطيخها وبرتقالها اللذين اشتهرت بهما ايما اشتهار. وكذلك بوردو في نبيذها وغيرها كثير من البلدان والاقاليم التي اختصت باشياء ما اختص بها جوارها والارض التي تشاكلها من كل وجه على حسب الظاهر وان كان لابد من وجود سبب كبير قد قضى بهذا الفرق الكبير

ولقد نقلنا مرة ان البلدان ذاتها يمتاز بعضها عن بعض باظهار ذوي العقول الثاقبة الممتازة ولكن هذا يرجع الى سبب وهو حب التقليد فاذا اختص ابن بلدة بفن واتفق ان اجاده وكان له منه نفع فان اكثر ابناء البلدة يقلدونه في عمله ويجرون على آثاره حتى يخرج منها امثاله وتشتهر بهم مما يوهم ان جوها او تربتها كان ذا تأثير في ذلك مع ان الاصح هو تأثير التقليد. الا انه من غريب ما يذكر عن بعض البقاع انها مشهورة باطالة الاعمار الى حد يذكر ويسجل فانهم قد رووا عن بعض نواحي سربيا وبلغاريا انها مشهورة بذلك وان الذين يبلغون المئة فيها يعدون بالمئات ولا

يُعد بلوغ المئة غريبا بينهم مع انه يوجد مثل تلك البقاع بقاع كثيرة في الارض تشابهها جداً في درجات الحرارة والمنظر والمأكل والمشرب وسائر اسباب الحياة . ولقد قالوا ان اكثار الاهالي هناك من التغذي باللبن الرائب هو الذي يطيل اعمارهم لما يدفعه من السقم عنهم ايام شبابهم وتعرضهم للعلل ولذلك يجتازون ادوار الخطر ويعمرون كثيراً ولكن هذا لا يعد كل السبب لان بقاعا كثيرة في الارض يكثر فلاحوها من التغذي بذاك اللبن اذ هو عمدتهم الكبرى ثم هم يعمرون ولكن ليس الى هذا الحد

ثم انه قد يكون لطول العمر في تلك الجهات سبب غير متوفر في غيرها او غير موجود اصلاً وقد ذهل عنه او لم يبحث احد عنه ولكنهم حدثوا عن اسكوتلاندا بانكاترا ان نساءها ممتازات بولادة التوائم والثلاثات امتيازاً واضحاً عما يجاورها من كل تلك البلاد حتى لقد ذكروا عنها ان ١٦٢٣ من نسائها ولدن في العام الماضي توائم وخمساً وعشرين ولدن ثلاثات كما انه شوهد فيها ايضاً انها مخصوصة بكثرة الزواج ولعل هذا من جملة الاسباب ولكنه ليس كل السبب وشاهدوا ايضاً انها ممتازة بازدياد مواليد الذكور عن الاناث زيادة غير موجودة في سائر الارض وممتازة ايضاً بطول العمر لانه توفي بها في العام الماضي ٦٨٣ نفساً واعمارهم بين التسعين والمئة ولكن اختصاصها بالتوائم والثلاثات مما يعد غريباً اذا صح هذا الامتياز وكانت خارجة به خروجاً واضحاً عن القياس الى عدد السكان